أثر العقيدة في تحقيق الاجتماع والائتلاف على ضوء الكتاب والسنة النبوية

د. عبد الرحمن يحيى جماع*

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى الإسهام في رفع وعي الأمة بأهمية الحفاظ على الأصل المتمثل في الوحدة، والتحذير من خطر التفرق المؤدي إلى ضعف وتمزيق المجتمعات، **وتكمن أهميته في أنه** يعالج قضية جوهرية ومصيرية ترتبط بالهدف والغاية التي من أجلها خلقت البشرية، ويبين مصالح الائتلاف و مفاسد الاختلاف وما يؤدي إليه من نتائج تؤثر على الأمة قوة وضعفاً، وكذلك تكمن أهمية الدعاء والشكر لله تعالى على نعمة الائتلاف، والاجتماع. **واستخدم الباحث المنهج** الوصفي والتحليلي القائم على جمع النصوص الشرعية وتحليلها واستخلاص أثر العقيدة الصحيحة في الاجتماع والائتلاف، **وتوصل إلى عدة نتائج أهمها** أن الأمة أصلها الوحدة، وأن هنالك أسباباً يحصل بها الاختلاف والتفرق ينبغي البعد عنها، وأن القرآن جعل لنا نماذج فيمن اختلفوا وكيف كانت نتائج ذلك الاختلاف لأخذ العظة والعبرة، وحث كذلك على أهمية الدعاء وشكر نعمة الائتلاف، وأوصى الباحث بوضع منهج تربوي أساسه العقيدة الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة الصحيحة، في جميع المراحل الدراسية بصورة مدروسة، ومخطط لها في المستقبل، كما أوصى بالاهتمام بالعلماء، والدعاة، والأساتذة، والمعلمين، الذين يحملون العقيدة الصحيحة والوقوف معهم فهم صمام أمان للأمة من الاختلاف.

*أستاذ مساعد/ جامعة دلتا العلوم والتكنولوجيا

Abstract:

This research aims to contribute to raising the nation's awareness of the importance of preserving the fundamental principle of unity and warning against the danger of division, which leads to the weakening and fragmentation of societies. Its importance lies in the fact that it addresses a fundamental and crucial issue related to the purpose and goal for which humanity was created. It clarifies the benefits of unity and the harms of division, and the resulting consequences that affect the nation's strength and weakness.

The researcher used the descriptive and analytical method based on collecting and analyzing religious texts and extracting the impact of sound doctrine on unity and cohesion. He reached several conclusions, the most important of which are that the nation's foundation is unity, that there are causes of division and discord that should be avoided, and that the Quran provides examples of those who differed and the consequences of that difference, so that we may learn lessons and draw conclusions. The researcher recommended developing an educational curriculum based on sound doctrine derived from the Quran and authentic Sunnah, to be implemented at all educational levels in a well-considered and planned manner for the future. He also recommended paying attention to scholars, preachers, professors, and teachers who uphold sound doctrine and supporting them, as they are a safeguard for the nation against division.

مقـــدمـــة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن ضلّ فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة معظمة للإيمان والعقيدة الصحيحة، الصافية النقية من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فهي بمثابة طهارة– للنفوس البشرية وتزكية لها، وهي بذلك سبب لسعادتها، وراحتها، ومن ذلك ما دعت إليه من التآلف، والتآخي والتراحم بين المسلمين، كما جاء في الحديث، عن أبي هريرة [... الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف][1].

ولذلك جعل الباحث موضوع هذا البحث في أثر العقيدة في الائتلاف والاجتماع، والبعد عن الفرقة والخلاف، لبيان دور وأثر العقيدة الصحيحة في دفع تفرق المسلمين واختلافهم وتحقيق إلفتهم واجتماعهم، واجتهد في جمع نصوص العقيدة الصحيحة في تحقيق الاجتماع والائتلاف.

1/ مسند الامام أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (10956)، (16 / 560) (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ- 2001 م، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء:5، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي صحيح مسلم (2638)، (4 / 20031).

والله اسأل أن يتقبل مني جهدي هذا، وأشكره على أعانته لي، ومباركته للوقت.

الشكر موصول لكل من استشرته، أو مدني بمعلومة/ من المشايخ، والإخوة المهتمين بالعلم.

أسباب اختيار الموضوع:

1/ لأن هذا الموضوع من المواضيع التي تلامس المجتمع المسلم.

2/ حث الإسلام على الاجتماع، وعدم التفرق.

3/ دعوة الرسل كانت مبنية على جمع الناس على عقيدة واحدة.

4/ الحاجة الماسة إليه، في هذا العصر، نسبة لكثرة االتفرق في كثير من مسائل أصول الدين.

5/ بيان منهج القرآن والسنة، في علاج التفرق والاختلاف، وما كان عليه سلفنا الصالح من الإلفة والاجتماع .

أهمية البحث :

1. يعالج قضية جوهرية ومصيرية ترتبط بالهدف والغاية التي من أجلها أرسل الرسل وأنزلت الكتب.
2. لأن الإئتلاف والاجتماع من أصول الدين العظيمة التي يجب المحافظة عليها لتحقيق وحدة الأمة وسعادتها ونهضتها.

أهداف البحث:

1. الإسهام في رفع وعي الأمة بأهمية الحفاظ على الأصل المتمثل في الوحدة، وخطر التفرق المؤدي إلى ضعف وتمزيق المجتمعات.
2. رفد المكتبات العلمية ببحث يكون مرجعاً لمعرفة أسباب وحدة الأمة الإسلامية وتمزقها.

3. المحاولة الجادة لتشخيص الداء العضال الذي يضعف قوة الأمة ويذهب خصائصها، وتقديم حلول ومعالجات له بقدر الإمكان .

مشكلة البحث:

1/ وجود الفرق، والجماعات، والأحزاب المتناقضة، والمتباغضة، والمتناحرة في المجتمعات الإسلامية. وكيف يعالج هذا الداء العضال .

2/ بيان أنواع التفرق الممنوع والمذموم وصور الاختلاف السائغ الذي يقبل معه الرأي والرأي الآخر.

3/ وجود عدد كبير من غير المسلمين يمتنع عن الدخول في الإسلام، بسبب الخلافات، والتناقضات في واقع المسلمين.

4/ عدم الدعاء و الشكر لنعمة الاجتماع، والغفلة عن ذلك.

أسئلة البحث:

1/ ما معنى العقيدة وأثرها؟

2/ما هي أهمية الوحدة والاجتماع والائتلاف بين المسلمين؟

3/ ما خطر التفرق والاختلاف على المسلمين؟

4/ ما هو أثر العقيدة في علاج التفرق والاختلاف؟

5/ ما هو أثر العقيدة في تحقيق الاجتماع والائتلاف؟

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي القائم على جمع النصوص الشرعية وتحليلها واستخلاص أثر العقيدة الصحيحة في الاجتماع والائتلاف.

المبحث الأول

تعريف العقيدة لغة، واصطلاحاً

أولاً: العقيدة لغة:

مشتق من مادة عقد، ومنه قولهم: عقَدَ الحبلَ ونحوَه: جعل فيه عقدة، جعل منه عُرْوة وأدخل أحد طرفيه فيها وشدّه، عكْس حلّه "عقَد المنديلَ رباطَ عُنُقه"[1].

(عقد) الشَّيْء عقدا التوى كَأَن فِيهِ عقدَة وَالرجل كَانَ فِي لِسَانه حبسة وعقدة وَاللِّسَان احْتبسَ فَهُوَ أعقد وَعقد وَهِي عقدَة وعقداء"[2].

(ع ق د) عقد الحبل عقداً من باب ضرب فا نعقد ما يمسكه، ويوثقه ومنه قيل عقد البيع ونحوه، وعقدت اليمين، وعقدتّها بالتشديد توكيدٌ، وعاقدٌ على كذا. وعقدته عليه بمعنى عاهدته. ومعقد الشئِ مثل مجلس موضعُ عقدةٍ، وعقدةُ النكاح وغيرهاإحكامه وإبرَامُهُ، والعِقدُ بالكسرِ القلادةُ والجمع عقود مثل حِملِ وحُمُولِ. واعتقدتُ كذا عقدتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل العقيدةَ ما يدين الإنسان به، وله عقيدةٌ حسَنَة سالمة من الشك، واعتقدت مالاً جمعته.[3]

1/ معجم اللغة العربية المعاصر، د. أحمد مختار عمر، ط1، القاهرة عالم الكتب، 2008م، 2/ 1526.

2/ المعجم الوسيط، مرجع سابق 614/2، المؤلف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية [كُتِبَتْ مقدمتُها 1392 هـ = 1972 م]، دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما كثير،[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431614.

3/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2 / 421)، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، المتوفى نحو 770هـ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

ثانياً: العقيدة اصطلاحاً:

هى ما يدين به الإنسان ربه، وجمعها عقائد، والعقيدة الإسلامية مجموعة الأمور الدينية التي تجب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالفه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة، ودليل ذلك قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ...)[1]، وقوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه ...)[2]، وقوله تعالى: (إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ...).[3][4]

العقيدة لها أهمية كبيرة في استقامة الأمة، ووحدتها، وأمنها واستقرارها، لأنها تبحث في ذات الله تعالى، ولما كان ذات الله أشرف ذات، كان علم العقيدة من أشرف العلوم، بان يعرف الإنسان ربه، وإلاهه ومعبوده، لأنه أمر بعبادته قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم وَٱلَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ)[5] فالأمر بالعبادة يستلزم معرفة المعبود، وهذا أمر عام للإنس، والجن، بل حتى الجمادات تعبد ربها عز وجل، عندما عرض الله تعالى الأمانة على السماوات، والأرض، والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، لأنها تعرف ربها قال سبحانه: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)[6].

1/ سورة الحجرات، الآية: 15.

2/ سورة آل البقرة، الآية:2.

3/ سورة آل عمران، الآية: 9.

4/ عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، (7 / 20)، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى: 1405 – 1885م.

5/ سورة البقرة الآية 21.

6/ سورة الأحزاب الآية 72.

المبحث الثاني

الشرك يؤدي إلى الاختلاف

فيه مطلبان:

المطلب الأول: البغي بين الناس يؤدي إلى الاختلاف

قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ...}[1]

اختلف أهل التأويل في معنى "الأمة": في هذا الموضع، وفي "الناس" الذين وصفهم الله بأنهم: كانوا أمة واحدة. فقال بعضهم: هم الذين كانوا بين آدم ونوح، وهم عشرة قرون، كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلك. عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله "كان الناس أمةً واحدةً فاختلفوا".[2][3]

قوله تعالى: كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً، في المراد ب «الناس» هاهنا ثلاثة أقوال: أرجحهم: جميع بني آدم، وهو قول الجمهور. والأمَّة هاهنا: الصنف الواحد

1/ سورة البقرة الآية: 213.

2/ المستدرك على الصحيحين، (4009)، (2 / 596)، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411 – 1990، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: 4، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن [3 / 621]، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى(224 – 310 هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م.

على مقصد واحد. وفي ذلك المقصد الذي كانوا عليه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله أبيّ بن كعب، وقتادة، والسدّي، ومقاتل. والثاني: أنه الكفر، رواه عطية عن ابن عباس والأرجح الأول.[1]

(وَما كانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[2] قوله تعالى: وَما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا- وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحِّدين، فاختلفوا وعبدوا الأصنام، فكان أول من بعث إليهم نوح عليه السلام. [3]

مما سبق ذكره من تفسير الآيات من خلال كلام أهل العلم أن الأصل في هذا أنها على عقيدة واحدة ، وسبب توحدها التوحيد الذي كان في زمن آدم ، حتى طرأ الشرك بالله تعالى في زمن نوح عليه السلام، وهذا فيه إشارة واضحة إلى توحد المسلمين لأنهم أقروا بالتوحيد وكلمة لا إله إلا الله، بالذات الدعاة وأهل الصلاح المتبعين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، لأن التوحيد الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع به الصحابة، فلذلك لابد توحد المسلمين، وعدم الاختلاف، والتفرق، لأن الشرع أمر بذلك، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

1/ زاد المسير في علم التفسير (177/1)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة: الأولى- 1422هـ.

2 / سورة يونس الآية: 19.

3/ مصدر سابق، زاد المسير في علم التفسير (2/ 322).

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[1]

كانت الجزيرة العربية تعج بالوثنيات، والشركيات، والخرافات، والعادات، والتقاليد، وسبب ذلك كله الجهل. يظهر من ذلك أن أثر دعوة العقيدة والتوحيد في هؤلاء أثراً عظيماً لأنها غيرتهم، وجعلتهم مجتمعين، ومتوحدين، ومتبعين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولأوامره، ونواهيه.

من أسباب الاختلاف الابتلاء:

فالتوحيد نعمة عظيمة على الأمة، ورحمة لها، لأن بسببه تحصل المحبة الحقيقية بين أفراد المجتمع، والقوة، والنصر من عند الله تعالى، **ثم اقتضت سنة الله تعالى في الخلق والناس التفرق والاختلاف**، قال تعالى: (ولكن ليبلوكم في ما آتاكم)[2] أي ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم، والابتلاء الاختبار، وعلاج ذلك قوله تعالى: (فاستبقوا الخيرات) أي سارعوا إلى الطاعات، وهذا يدل على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها، وذلك لا اختلاف فيه في العبادات كلها...[3].

قال جل وعلا: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}[4] وَهْمُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنَّ هَذَا خِطَابٌ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، وَإِخْبَارٌ عَنْ قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَوْ شَاءَ لَجَمَعَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَشَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يُنْسَخُ شَيْءٌ مِنْهَا. وَلَكِنَّهُ

1/ سورة آل عمران الآية: (102-103)

2 / سورة المائدة الآية: 48.

3/ تفسير القرطبي (6/ 211)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

4 / سورة المائدة الآية: 48.

تَعَالَى شَرَعَ لِكُلِّ رَسُولٍ شرْعة عَلَى حدَة، ثُمَّ نَسَخَهَا أَوْ بَعْضَهَا بِرِسَالَةِ الْآخَرِ الَّذِي بَعْدَهُ حَتَّى نَسَخَ الْجَمِيعَ بِمَا بَعَثَ بِهِ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي ابْتَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ} أَيْ: أَنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ الشَّرَائِعَ مُخْتَلِفَةً، لِيَخْتَبِرَ عِبَادَهُ فِيمَا شَرَعَ لَهُمْ، وَيُثِيبَهُمْ أَوْ يُعَاقِبَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ بِمَا فَعَلُوهُ أَوْ عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.[1].

قال سبحانه: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أي: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ} أيها الناس {أُمَّةً وَاحِدَةً} كما قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}[2] أي: لوفق بينكم ولما جعل اختلافًا ولا تباغض ولا شحناء، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُم...}[3]، وهكذا قال ههنا: {وَلَكِنْ يُضِلُّ ثم حذَّر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلًا أي: خديعة ومكرًا لئلا تزل قدم بعد ثبوتها، مثل لمن كان على الاستقامة فحاد عنها، وزلَّ عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله، لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به لم يبق له وثوق ...[4].

1/ تفسير ابن كثير ت سلامة (3/ 130)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

2/ سورة يونس، الآية: 99.

3/ سورة هود، الآية: 118-119.

4/ تفسير القرآن العظيم، (4 / 426)،.ابن كثير المحقق: حكمت بن بشير بن ياسين(اختصر عمل الشيخ أبي إسحاق الحويني من أول الكتاب إلى الآية 141 من سورة البقرة (وهو جـ 1 هذه الطبعة) ثم أكمل تحقيق الكتاب) الناشر: دار ابن الجوزي للنشر/والتوزيع - السعودية الطبعة: الأولى، 1431 هـ.

كان الناس جماعة واحدة، مجتمعين على الإيمان بالله ثم اختلفوا في العقيدة، فبعث الله النبيين دعاة لتوحيد الله، مبشرين مَن أطاع الله تعالى فله الجنة، ومحذرين من كفر به وعصاه وأشرك به فله النار، وأنزل معهم الكتب السماوية بالحق الذي اشتملت على العقيدة؛ ليحكموا بما فيها بين الناس فيما اختلفوا فيه من العقيدة وما اخْتَلَف في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه ظلمًا وحسدًا الذين أعطاهم الله التوراة، وعرفوا ما فيها من الحجج والأحكام، فوفَّق الله المؤمنين بفضله إلى العقيدة الصحيحة **وتمييز** الحق من الباطل، ومعرفة ما اختلفوا فيه. والله يوفِّق من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم.

والثاني: أن (الأمة) تعني: طاعة الله، والدعاء إلى توحيده واتباع أمره، من قول الله عز وجل {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا}[1]، يعني بقوله (أمة)، إمامًا في الخير يُقتدى به، ويُتَّبع عليه. والمراد بـ {الناس}: آدم وذريته، إذ كان آدم على الحقّ إمامًا لذريته، فبعث الله النبيين في ولده. وهذا قول مجاهد، والثوري. وعلى هذا القول يجوز تسمية الواحد باسم الجماعة، لاجتماع أخلاق الخير الذي يكون في الجماعة المفرَّقة فيمن سماه بـ (الأمة)، كما يقال: فلان أمة وحده، يقول مقام الأمة، وقد يجوز أن يكون سماه بذلك، لأنه سبب لاجتماع الأسباب من الناس على ما دعاهم إليه من أخلاق الخير، فلما كان آدم صلى الله عليه وسلم سببًا لاجتماع من اجتمع على دينه من ولده إلى حال اختلافهم سماه بذلك {أمة}.

الله تعالى جعل أصل الأمة التوحيد في بداياتها، ولكن طرأ الشرك، واقتضت حكمة الله عز وجل أن يختلفوا، وخلقهم ليختبرهم ويبتليهم فيمن يوحد الله عز وجل ومن لم يؤمن بعد ما أنزل إليهم الكتب، وأرسل إليهم

1/ سورة إبراهيم الآية: 120.

الرسل، وأقام عليهم الحجة، لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وخلق الجنة والنار، فيهدي من يشاء إلى العقيدة الصحيحة في الدنيا، ويدخل الجنة برحمته، وفضله على من يشاء من عباده، وهذا يدل على أن الأمر كله بيد الله جل وعلا، فمن هداه إلى العقيدة الصحيحة كان من أهل الاجتماع، والائتلاف، ومن لم يوفق للعقيدة الصحيحة فلا شك أنه يكون من المحرومين ويدخله النار بعدله، وهذا يتوجب علينا أن نؤمن بالله تعالى ونحقق الإيمان في قلوبنا، وأن ندعوا الله سبحانه الثبات حتى الممات، لأن الاجتماع يتم بالإيمان الصادق كما قال تعالى: (... فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)[1]، وفيه إشارة إلى أن دعوة التوحيد لابد لها أن تستمر في المجتمع، ما دام أن الشرك بالله تعالى موجود، وأنه السبب الرئيس في الخلاف والاختلاف بين الناس، لذلك يحتاج الناس تذكير، وتعليمهم العقيدة الصحيحة على الدوام.

المطلب الثاني: التوبة من الشرك قبل الممات:

(وَما كانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[2].

قوله تعالى: (وَما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ...)، وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحِّدين، فاختلفوا وعبدوا الأصنام، فكان أول من بعث إليهم نوح عليه السلام.

(...ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلَّهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام. قال ابن عباس: كان بين آدم

1/ سورة البقرة، الآية: (213).

2/ سورة يونس الآية: 19.

ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}[1] وقوله: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ} الآية، أي: لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وأنه قد أجَّل الخلق إلى أجل معدود لقُضي بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنت الكافرين."[2].

(... {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ}: اللام: لام التَّعليل. قضي بينهم؛ أيْ: بين النّاس عاجلاً في الحياة الدّنيا، ومن دون انتظار؛ إما بإقامة السّاعة، أو بإنزال العذاب على المكذبين، والمشركين. {فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}: ولم يقل: فيما كانوا فيه يختلفون؛ فيما فيه يختلفون؛ تعني: لقضي بينهم حالاً في الدّنيا من دون التّأخير، والانتظار ليوم القيامة، ولو قال: فيما كانوا فيه يختلفون؛ تعني: يوم القيامة؛ أيْ: يؤخر القضاء لهم حتّى يوم القيامة، وعندها يقضي بينهم فيما كانوا يختلفون فيه في الدّنيا؛ فالله سبحانه قادر على أن يفعل القضاء الآن حالاً، أو يؤخِّره حتّى يوم القيامة.»[3].

دل شرعنا المطهر بتأخير الثواب، والعقاب إلى يوم القيامة، ولو شاء الله تعالى لجعله في الدنيا، قبل الآخرة، وهذا إن دل فإنما يدل على رحمة الله علي عباده لكي يعملوا الأعمال الصالحة ليثيبهم عليها، ويتركوا ما نهى عنه

1/ سورة الأنفال، الآية: 42

2/ مرجع سابق، تفسير ابن كثير، (4 / 390). -

3/ تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي، (11 / 62)، محمد الهلال، عدد الأجزاء: 30 (مجزأ آليا بأجزاء المصحف الشريف)، تنبيه: الكتاب مطبوع في 12 مجلدا، عن دار المعراج، ودار جوامع الكلم، تاريخ النشر بالشاملة: 29 ذو القعدة1443هـ.

تبارك وتعالى، وتحصل لهم التوبة والرجوع إلى الله عز وجل، وهذا يقتضي الالتزام بالعقيدة الصحيحة قولا، واعتقادا، وعملا وسلوكا، لأنها من آثار العقيدة الصحيحة، والإيمان قال تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم ءاياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، ...)[1]، فبذلك يعصم العبد من الاختلاف، والتفرق، بل الله أمرنا نعمل للآخر إن كنا نريده، قال سبحانه: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)[2] دلت الآية على النهي عن الشرك بالله عز وجل، وهذا نهي تحريم، لأن الشرك خطرة كبير، وعظيم، له تأثير في الدنيا، والآخرة بأن لا يقبل الله تعالى العمل الصالح ويحبطه جميعاً، إذاً الشرك عاقبته في الدار الآخرة إذا لم يتب منه العبد قبل الموت فإن مصيره إلى النار، والموحد صاحب العقيدة الصحيحة إلى الجنة، لذلك يكون الفصل بين الموحدين والمشركين يوم القيامة.

المبحث الثالث: البغي والحسد من أسباب التفرق والاختلاف في العقيدة:

قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}[3] أي أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول، إنما اختلفوا بعدما قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم، فقال: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} أي: بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل

1/ سورة الأنفال، الآية: (2 – 4).

2/ سورة الكهف، الآية: (110).

3/ سورة آل عمران، الآية:19.

بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقاً....[1].

(ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (16) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)[2].

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم وجعله الملك فيهم، ولهذا قال تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} أي: من المآكل والمشارب {وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} أي: في زمانهم، {وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ} أي: حججًا وبراهين وأدلة قاطعات، فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة، وإنما كان ذلك بغيًا منهم على بعضهم بعضًا {إِنَّ رَبَّكَ} يا محمد {يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} أي: سيفصل بينهم بحكمه العدل، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهجهم، ولهذا قال: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} أي: اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين، وقال ههنا: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[3].

وَلِهَذَا قَالَ جل وعلا: ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها أَيِ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وقال جل جلاله

1/ مصدر سابق، ابن كثير، (2 / 330).

2/ سورة الجاثية، الآية: 16-17.

3/ مصدر سابق، تفسير ابن كثير، (6 / 611).

هَاهُنَا: (وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْض)[1] أَيْ وَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ وِلَايَتُهُمْ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا فَإِنَّهُمْ لَا يَزِيدُونَهُمْ إِلَّا خَسَارًا وَدَمَارًا وَهَلَاكًا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ وَهُوَ تَعَالَى يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، ثم قال عز وجل: هَذَا بَصائِرُ لِلنَّاسِ يَعْنِي الْقُرْآنَ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ.[2]

بين المولى عز وجل أن سبب اختلاف اليهود هو البغي والحسد، مع وجود العلم لأن معهم التوراة فيها حكم الله تعالى، ولكن اتبعوا الهوى، والبغي من حب الرياسة، والملك، والدنيا، لذلك حصل الاختلاف والتفرق بينهم، كما جاء في الحديث، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعين في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاثين وسبعين فرقة واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار. قيل: يا رسول الله، من هم ؟ قال: الجماعة.[3]

فدل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراق اليهود، والنصارى، وافتراق أمته، وهذا قدر الله في خلقه، فيرحم من يشاء، ويهلك من يشاء، فبين

1/ سورة الجاثية، الآية: 19.

2/ مصدر سابق، تفسير ابن كثير، (7/46-47).

3/ سنن ابن ماجه، (3992)، (1322 / 2)، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: 2.

الحديث الفرقة الناجية، وهي الجماعة التي تكون على العقيدة الصحيحة، التي جاء بها صلي الله عليه وسلم، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين.

وهذا يتوجب علينا الاهتمام بطلب العلم والعمل به، والدعوة إليه. وكذلك يهتم العبد بالتزكية للنفس حتى تطهر من حب الدنيا والرغبة فيها، وعلاج مرض القلب.

المبحث الرابع

شكر الله على نعمة الاجتماع، والإئتلاف

فيه مطلبان:

المطلب الاول: شكر نعمة الائتلاف (الأنصار والمهاجرون نموذجاً):

لا شك أن الإيمان بالله عز وجل والعقيدة الصحيحة، واتّباع الرسول صلى الله عليه وسلم، له أثر عظيم في اجتماع المسلمين، ونصرة الدين، كما كان حال الصحابة رضوان عليهم.

(... ثم ذكر نعمته عليه مما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار، فقال: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}[1] أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك، {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان، كما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

1/ سورة الأنفال، الآية: (62-63).

وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[1].

وفي الصحيحين: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الأنصار، في شأن غنائم حُنين، قال لهم: "يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟" كلما قال شيئًا، قالوا: الله ورسوله أمَنٌّ"،[2] ولهذا قال تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أي: عزيز الجناب، فلا يخيب رجاء من توكل عليه، حكيم في أفعاله وأحكامه، ...عن طاووس، عن ابن عباس، قال: قرابة الرحم تقطع، ومنة النعمة تكفر، ولم ير مثل تقارب القلوب، يقول الله تعالى: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}، ... ، وقال أبو عمرو الأوزاعي: حدثني عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد، ولقيته فأخذ بيدي فقال: إذا التقى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه، تحاتت خطاياهما كما تحات ورق الشجر. قال عبدة: فقلت له: إن هذا ليسير، فقال: لا تقل ذلك فإن الله يقول: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} قال عبدة: فعرفت أنه أفقه مني، وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان، عن إبراهيم الخوزي، عن الوليد بن أبي مغيث، عن مجاهد، قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما، قال: قلت لمجاهد: بمصافحة

1/ سورة آل عمران، الآية: (103).

2/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، (4330)، (10 / 394)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى 1422هـ، عدد الأجزاء: 9.

يغفر لهما؟ قال مجاهد: أما سمعته يقول: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني، وكذا روى طلحة بن مصرف عن مجاهد، وقال ابن عون، عن عُمير بن إسحاق، قال: كنا نتحدث أن أول ما يُرفع من الناس الإلفة، وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني رحمه الله: حدثنا الحسين بن إسحاق التُستَري، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا سالم بن غيلان، سمعت جعدًا أبا عثمان، حدثني أبو عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده، تحاتت عنهما ذنوبهما، كما تحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبدَ البحر.[1][2]

قال تعالى: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)[3]. يقولُ تعالى ذكرُه: وإن يُرِدْ يا محمدُ هؤلاء الذين أمَرْتُك بأن تَنْبِذَ إليهم على سَواءٍ، إن خِفْتَ منهم خيانةً، وبمُسالمَتِهم إن جنَحوا للسَّلْمِ – خَداعَك والمكرَ بك، {فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ}. يقولُ: فإن الله كافِيكهم وكافيك خداعَهم إياك؛ لأنه مُتَكَفِّلٌ بإظهارِ دينِك على الأديانِ، ومُتَضَمِّنٌ أن يَجْعَلَ كلمتَه العليا وكلمةَ أعدائِه السُّفْلى، {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ}. يقولُ: اللَّهُ الذي قوَّاك بنصرِه إياك على أعدائِه،{وَبِالْمُؤْمِنِينَ}. يعنى: بالأنصارِ. (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ

1/ مصدر سابق، أخرجه الطبراني (المعجم الكبير 6/ 256).

2/ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، (4 / 227–229).

3/ سورة الأنفال، الآية: (62).

بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[1]، يُريدُ جلَّ ثناؤُه بقولِه: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}: وجمعَ بينَ قلوبِ المؤمنين مِن الأوسِ والخزرجِ، بعدَ التفرقِ والتَّشَتُّتِ، على دينِه الحقِّ، فصيَّرهم به جميعًا بعدَ أن كانوا أشْتاتًا، وإخْوانًا بعدَ أن كانوا أعداءً. وقوله: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}. يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: لو أنْفَقْتَ يا محمدُ ما في الأرضِ جميعًا من ذهبٍ ووَرِقٍ وعَرَضٍ، ما جَمعْتَ أنت بينَ قلوبِهم بحِيَلِك، ولكنَّ اللَّهَ جَمعها على الهدى، فائْتَلَفَت واجْتَمَعَت؛ تقوية مِن اللَّهِ لك وتأييدًا منه، ومعونةً على عدوِّك، يقولُ جلَّ ثناؤُه: والذي فعَل ذلك وسبَّبه لك، حتى صاروا لك أعوانًا وأنصارًا ويدًا واحدةً على مَن بَغاك سُوءًا هو الذي إن رام عدوٌّ منك مرامًا يَكْفِيك كيدَه، ويَنْصُرُك عليه، فثِقْ به، وامْضِ لأمرِه، وتوَكَّلْ عليه.[2]

المطلب الثاني: عدم شكر نعمة الائتلاف (بني إسرائيل نموذجاً):

(وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[3].

يخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمُ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ والدنيوية وقوله: مُبَوَّأَ صِدْقٍ قِيلَ هُوَ بِلَادُ مِصْرَ وَالشَّامِ مِمَّا يَلِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَنَوَاحِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ اسْتَقَرَّتْ يَدُ الدَّوْلَةِ الْمُوسَوِيَّةِ عَلَى بِلَادِ مِصْرَ بِكَمَالِهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي

1/ سورة الأنفال، الآية: (63).

2/ مصدر سابق، تفسير الطبري (11/ 256-255).

3/ سورة يونس، الآية: 93.

إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَدَمَّرْنا مَا كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَما كانُوا يَعْرِشُونَ)[1] وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى (فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ)[2] وقال: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)[3].

وَلَكِنْ اسْتَمَرُّوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ طَالِبِينَ إِلَى بِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَهِيَ بِلَادُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَمَرَّ مُوسَى بِمَنْ مَعَهُ طَالِبًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَكَانَ فِيهِ قَوْمٌ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم فَشَرَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي التِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ فِيهِ هَارُونُ ثُمَّ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَخَرَجُوا بَعْدَهُمَا مَعَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَاسْتَقَرَّتْ أَيْدِيهِمْ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ أَخَذَهَا مِنْهُمْ بُخْتُنَصَّرُ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ عَادَتْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَخَذَهَا مُلُوكُ اليونان فكانت تَحْتَ أَحْكَامِهِمْ مُدَّةً طَوِيلَةً وَبَعَثَ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ فَاسْتَعَانَتِ الْيَهُودُ قَبَّحَهُمُ اللَّهُ عَلَى مُعَادَاةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمُلُوكِ الْيُونَانِ وَكَانَتْ تَحْتَ أَحْكَامِهِمْ وَوَشَوْا عِنْدَهُمْ وَأَوْحَوْا إِلَيْهِمْ أَنَّ هَذَا يُفْسِدُ عَلَيْكُمُ الرَّعَايَا فَبَعَثُوا مَنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِ فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَشُبِّهَ لَهُمْ بَعْضُ الْحَوَارِيِّينَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ فَأَخَذُوهُ فَصَلَبُوهُ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ هُوَ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً، ثُمَّ بَعْدَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَحْوٍ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ دَخَلَ قُسْطَنْطِينُ أَحَدُ مُلُوكِ الْيُونَانِ فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَكَانَ فَيْلَسُوفًا قَبْلَ ذَلِكَ فَدَخَلَ فِي دِينِ النَّصَارَى قِيلَ تَقِيَّةً وَقِيلَ حِيلَةً لِيُفْسِدَهُ فَوَضَعَتْ لَهُ الْأَسَاقِفَةُ مِنْهُمْ قَوَانِينَ وشريعة بدعوها وأحدثوها فَبَنَى لَهُمُ الْكَنَائِسَ وَالْبِيَعَ الْكِبَارَ وَالصِّغَارَ وَالصَّوَامِعَ وَالْهَيَاكِلَ وَالْمَعَابِدَ وَالْقَلَايَاتِ وَانْتَشَرَ دِينُ النَّصْرَانِيَّةِ فِي

1/ سورة الْأَعْرَافِ، الآية: 137.

2/ سورة الشعراء، الآية: 58- 60.

3/ سورة الدخان، الآية: 25.

ذَلِكَ الزَّمَانِ وَاشْتَهَرَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ تَبْدِيلٍ وَتَغْيِيرٍ وَتَحْرِيفٍ وَوَضْعٍ وَكَذِبٍ وَمُخَالَفَةٍ لِدِينِ الْمَسِيحِ وَلَمْ يَبْقَ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الرُّهْبَانِ فَاتَّخَذُوا لَهُمُ الصَّوَامِعَ فِي الْبَرَارِي وَالْمَهَامَّةَ وَالْقِفَارِ. وَاسْتَحْوَذَتْ يَدُ النَّصَارَى عَلَى مَمْلَكَةِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَبَنَى هَذَا الْمَلِكُ الْمَذْكُورُ مَدِينَةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ والمقامة وبيت لحم وكنائس ببلاد بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمُدُنَ حَوْرَانَ كَبُصْرَى وَغَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ بِنَاءَاتٍ هَائِلَةً مَحْكَمَةً وَعَبَدُوا الصَّلِيبَ مِنْ حِينَئِذٍ وَصَلَّوْا إِلَى الشَّرْقِ وَصَوَّرُوا الْكَنَائِسَ، وَأَحَلُّوا لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَحْدَثُوهُ مِنَ الْفُرُوعِ فِي دِينِهِمْ وَالْأُصُولِ وَوَضَعُوا لَهُ الْأَمَانَةَ الْحَقِيرَةَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْكَبِيرَةَ وَصَنَّفُوا لَهُ الْقَوَانِينَ وَبَسْطُ هَذَا يَطُولُ. وَالْغَرَضُ أَنَّ يَدَهُمْ لَمْ تَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ إِلَى أَنِ انْتَزَعَهَا مِنْهُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَكَانَ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. وَقَوْلُهُ: (وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) أَيْ الْحَلَالِ مِنَ الرِّزْقِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ الْمُسْتَطَابِ طَبْعًا وَشَرْعًا وَقَوْلُهُ: (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ) أَيْ مَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَسَائِلِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ أَيْ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَخْتَلِفُوا وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَهُمْ وَأَزَالَ عَنْهُمُ اللَّبْسَ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ الْيَهُودَ اخْتَلَفُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَأَنَّ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً منها واحدة في الجنة واثنتان وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»([1]) وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) أَيْ: يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.[1]

1/ المعجم الكبير (7675)، (8 / 152)، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، 1404 – 1983، تحقيق: حمدي بن

قوله: (ولقد بوأنا...)([2])، هذا من جملة ما عدده الله سبحانه من النعم التي أنعم بها على بني إسرائيل، ومعنى بوأنا: أسكنا، يقال بوأت زيدا منزلا: أسكنته فيه، والمبوأ: اسم مكان أو مصدر، وإضافته إلى الصدق على ما جرت عليه قاعدة العرب، فإنهم كانوا إذا مدحوا شيئا أضافوه إلى الصدق، والمراد به هنا: المنزل المحمود المختار، قيل: هو أرض مصر، وقيل: الأردن وفلسطين، وقيل: الشام ورزقناهم من الطيبات أي: المستلذات من الرزق فما اختلفوا في أمر دينهم وتشعبوا فيه شعبا بعد ما كانوا على طريقة واحدة غير مختلفة حتى جاءهم العلم أي: لم يقع منهم الاختلاف في الدين إلا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم بأحكامها، وما اشتملت عليه من الأخبار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم- وقيل المعنى: أنهم لم يختلفوا حتى جاءهم العلم، وهو: القرآن النازل على نبينا صلى الله عليه وسلم، فاختلفوا في نعته وصفته، وآمن به من آمن منهم، وكفر به من كفر. فيكون المراد بالمختلفين على القول الأول: هم اليهود بعد أن أنزلت عليهم التوراة وعلموا بها، وعلى القول الثاني: هم اليهود المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيجازي

=عبدالمجيد السلفي، عدد الأجزاء: 20. أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (209، 279 هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: 1998 م، عدد الأجزاء: 6،(4 / 323). أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، 1405، عدد الأجزاء: 10، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (9 / 242). وابن ماجة في الفتن باب 17، وأحمد في المسند 3/ 145.

1/ مصدر سابق، تفسير ابن كثير (4/ 257).

2/ سورة يونس، الآية: 93.

المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، والمحق بعمله بالحق، والمبطل بعمله بالباطل.([1])

دل القرآن الكريم، والسنة المطهرة على لزوم العقيدة، والعمل بها، فقص لنا القرآن عن اليهود، والنصارى أنهم جاءهم العلم بالعقيدة والتوحيد وعرفوا الحق ولكن بعد ما أقام الله عليهم الحجة فضلوا ضلالا مبينا، وحصل الاختلاف، والتفرق بينهم، وهذا دليل واضح لهذه الأمة أن لا تسلك مسلكهم، لذلك لابد مخالفتهم، وعدم التشبه بهم، وأن نُأصّل التوحيد فينا، ونعمل به لأنه سبب الاجتماع، والائتلاف.

فنهى الله عن اتباع اليهود، والنصارى، والتشبه بهم ومخالفتهم في كل شيء، لما في موافقتهم الخطر العظيم الذي سيعود على المسلمين، وما سيحل بهم كما حل باليهود، والنصارى من قبل.

المبحث الخامس

وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله

قال تغالى:[...(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)([2]) هذا عام في كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين، فإن حكمه ومرجعه إلى الله يحكم فيه بحكمه ويفصل خصومة المختصمين فيه، وعند ذلك يظهر المحق من المبطل، ويتميز فريق الجنة وفريق النار. قال الكلبي: وما اختلفتم فيه من شيء: أي من أمر الدين فحكمه إلى الله يقضي فيه. وقال مقاتل: إن أهل

1/ فتح القدير للشوكاني (2/ 537)، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ.

2/ سورة الشورى، الآية: 10.

مكة كفر بعضهم بالقرآن، وآمن به بعضهم فنزلت، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ويمكن أن يقال: معنى حكمه إلى الله: أنه مردود إلى كتابه، فإنه قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلفون فيه فتكون الآية عامة في كل اختلاف يتعلق بأمر الدين أنه يرد إلى كتاب الله، فقوله : {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ}([1]) من أصول دينكم وفروعه، مما لم تتفقوا عليه {فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} يرد إلى كتابه، وإلى سنة رسوله، فما حكما به فهو الحق، وما خالف ذلك فباطل. {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي} أي: فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر، فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم. ومفهوم الآية الكريمة، أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه، يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما في كتاب الله وسنة رسوله. وقوله: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار، واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك. {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته. وهذان الأصلان، كثيرا ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}([2]) وقوله: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}([3])([4]) .

1/ سورة النساء، الآية:59.

2/ سورة الفاتحة، الآية: 5.

3/ سورة هود، الآية: 123.

4/ مصدر سابق تفسير السعدي، (753/1).

قوله تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ...)([1]) أي: من أمر الدِّين وقيل: بل هو عامّ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ فيه قولان: أحدهما: علمه عند الله. والثاني: هو يحكُم فيه. قال مقاتل: وذلك أن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن بعضهم، فقال الله: أنا الذي أحكُم فيه ذلِكُمُ اللَّهُ الذي يحكُم بين المختلفين هو رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ في مهمّاتي وَإِلَيْهِ أُنِيبُ أي أرجِع في المَعاد.([2])

و قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا)([3])، قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا حَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَعْوَرِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ؛ إِذْ بَعَثَهُ رسول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ}([4]). وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا خَرَجُوا وَجَد عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا. ثُمَّ دَعَا بِنَارٍ فَأَضْرَمَهَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَتَدْخُلُنَّهَا. [قَالَ: فَهَمَّ الْقَوْمُ أَنْ يَدْخُلُوهَا]، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ شَابٌّ

1/ سورة الشورى، الآية: 10.

2 / مصدر سابق، زاد المسير في علم التفسير، ((4/ 60))

3/ سورة النساء، الآية: 59.

4/ مصدر سابق، البخاري (46/6)، (4584) وصحيح مسلم برقم (1834).

مِنْهُمْ: إِنَّمَا فَرَرْتُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَلَا تَعْجَلُوا حَتَّى تَلْقَوْا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ أَمَرَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوهَا فَادْخُلُوهَا. قَالَ: فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ: "لَوْ دَخَلْتُمُوهَا مَا خَرَجْتُمْ مِنْهَا أَبَدًا؛ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ.([1])، وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا مُسَدَّد، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ، عَنْ عَبْدِ الله بن عمر، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ."([2])، وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطنا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وأثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحا، عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ"[(3)]، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنَّ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ".[(4)] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا

1/ مصدر سابق، صحيح البخاري برقم (4340)، وصحيح مسلم برقم (1840).

2/ السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، (5540)، (3 / 127)، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء: 4، سنن أبي داود (2626)، (2 / 47)، وصحيح البخاري برقم (7144)، وصحيح مسلم برقم (1839). أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى . 1344 هـ، عدد الأجزاء:10.

3/ مصدر سابق، صحيح البخاري، برقم (7199)، وصحيح مسلم برقم (1709).

4/ مصدر سابق، صحيح البخاري برقم (693).

مُجَدَّع الْأَطْرَافِ.[1]، وَعَنْ أُمِّ الْحُصَيْنِ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ: "وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، اسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا"[2] وَفِي لَفْظٍ لَهُ: "عَبْدًا حَبَشِيًّا مَجْدُوعًا."

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ الطُّوسِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَيَلِيكُمْ بَعْدِي وُلَاةٌ، فَيَلِيكُمُ الْبَرُّ بِبِرِّهِ، وَيَلِيكُمُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ، فَاسْمَعُوا لَهُمْ وَأَطِيعُوا فِي كُلِّ مَا وَافَقَ الْحَقَّ، وَصَلُّوا وَرَاءَهُمْ، فَإِنْ أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ". وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: "أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، وَأَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ" [3]، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً".[4][5]

بعد هذه النصوص الدالة على المحافظة على الاجتماع وعدم التفرق، كان لابد من النظر فيها علماً وعملا، وتطبيقها في الواقع، بأن نحافظ على

1/ مصدر سابق، رواه مسلم في صحيحه برقم (1837) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عنه.

2/ مصدر سابق، صحيح مسلم برقم (1838).

3/ مصدر سابق، صحيح البخاري برقم (3455)، وصحيح مسلم برقم (1842).

4/ مصدر سابق، صحيح البخاري برقم (7143)، وصحيح مسلم برقم (1849).

5/ مصدر سابق، زاد المسير في علم التفسير، (4/ 61).

الاجتماع، لما في ذلك من المصالح العظيمة. وصور الاجتماع في الإسلام كثيرة، مثل: صلاة العيدين، الحج، صلاة الجماعة في المسجد، طاعة الحاكم المسلم، الخ.

فالصبر على الحاكم الظالم الجائر واجب، فمن باب أولى الصبر عليه في الأمارة الصغرى، كإمام المسجد، وربّ الأسرة، ومدير المصنع، والأمارة في السفر، وأمير الجماعة في السفر والحضر...إلخ.

وهذا الصبر والطاعة للإمام، والأمير إنما تكون في المعروف، وتنبني على التوحيد، لذلك عندما أرسل الله الرسل أمر بطاعتهم، وامتثال أمرهم، لأنهم يأمرون الناس بطاعة الله عز وجل، ويعرفون العباد ربهم الذي خلقهم، ويربوهم على الأخلاق، والاستقامة، لذلك وجبت طاعتهم.

الخـــاتمـــة:

تم بحمد الله تبارك وتعالى، البحث الذي كان بعنوان: أثر العقيدة في الاجتماع والائتلاف، والذي كان بمثابة مشكلة في المجتمع الإسلامي، ولكن بحمد الله تعالى أن عقيدتنا الإسلامية هي بمثابة صمام أمان للمسلمين، وسبباً لوحدتهم، واجتماعهم، لذلك وجب علينا شكر نعمة الإجتماع والائتلاف، ولله الحمد والمنة.

لذلك تمت مباحث الموضوع الذي تناول فيه الباحث الخلافات التي تصدر من المسلمين، بعدم شكرهم لنعمة الاجتماع، والتحزب المذموم، بسبب بعد المسلمين عن عقيدتهم، وتعلقهم بالدنيا، وحبهم للرياسة، وجمع المال وكنزه، وأمراض القلوب، واتباع الهوى، والظلم، والجهل ...إلخ كل ذلك أدّى إلى التفرق، والاختلاف بينهم.

ثم تم ترتيب البحث على حسب ما رتب له، وتم الوصول إلى أهم النتائج، التي سعى لها الباحث، من خلال النظر في كلام الله جل وعلا، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهدي السلف الصالح، لما فيهم من صحة العقيدة.

النتـــائـــج:

1- إن أصل الأمة هو الوحدة.

2- هنالك أسباب يحصل بها الخلاف والاختلاف، بل والتفرق.

3- القرآن جعل لنا نماذج فيمن اختلفوا، وكيف كانت النتائج سلبية.

4- أثر الرسل في المجتمعات، وأنهم سبب للاجتماع، وأنهم يمثلون القدوة للناس.

5- أثر العقيدة الكبير، والعظيم في لم شمل العباد، إذا صدقوا، وأخلصوا.

6- إن الأمور كلها بيد الله تعالى، فإذا أراد الله جمع شمل الأمة جمعها، وإذا لم يرد لم يجمعها.

7- أهمية الأمر بالمعروف وأهمية العقيدة، والنهي عن المنكر وأهمية الشرك بالله عز وجل.

8- رسوخ العقيدة في الله سبحانه، لأنه هو الذي يؤلف بين القلوب.

9- أهمية شكر نعمة الاجتماع.

10- أهمية الرجوع إلى الكتاب والسنة عند الائتلاف.

التوصيـــات

1/ وضع منهج تربوي أساسه العقيدة الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة الصحيحة، في جميع المراحل الدراسية، بصورة مدروسة، ومخطط لها في المستقبل.

2/ الاهتمام بالعلماء، والدعاة، والأساتذة، والمعلمين، الذين يحملون العقيدة الصحيحة والوقوف معهم، لأنهم سبب التغيير، وصمام أمان للأمة من الاختلاف.

3/ تأصيل حفظ القرآن، والسنة وتدريسهما لكي يتم الوصول إلى الفهم الصحيح للعقيدة، وغرسها في المجتمع، والرجوع إليهما عند التنازع.

4/ الاهتمام بالعقيدة، والتزكية، في المجتمع، وتزهيد الناس في أمور الدنيا.

5/ ترغيب الناس في العمل للدار الآخرة.

6/ الاهتمام بطلب العلم بالعقيدة، والعمل بها.

7/ الاهتمام بالمناهج التي تحمل العقيدة الصحيحة ومتابعتها، وتطويرها.

8/ تأصيل عقيدة الولاء والبراء في المجتمع المسلم.

9/ تأليف القلوب بيد الله تعالى، وأن العبد لا حول له ولا قوة إلا بالله جل وعلا، فلا بد من الإكثار من الدعاء، والتضرع إليه.

10/ حث المسلمين على الدعاء، وشكر نعمة الائتلاف.

المصادر والمراجع

1/ القرآن الكريم

2/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى 1422هـ، عدد الأجزاء: 9.

3/ السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الطبعة: الأولى . 1344 هـ، عدد الأجزاء: 10.

4/ المستدرك على الصحيحين محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411 – 1990، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: 4.

5/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، المتوفى نحو 770هـ، الناشر: المكتبة العلمية ـ بيروت.

6/ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، 1404 – 1983، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، عدد الأجزاء: 20.

7/ المعجم الوسيط، المؤلف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية [كُتِبَتْ مقدمتُها 1392هـ، 1972 م]، دار الدع، بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، وغيرهما

كثير، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431هـ.

8/ الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية (4/ 365)، الطبعة: الأولى، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان المؤلف: د. عبد الله خضر حمد 1438 هـ – 2017م. الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية (4/ 365)، الطبعة: الأولى، الناشر: دار القلم، بيروت – لبنان المؤلف: د. عبد الله خضر حمد 1438 هـ – 2017 م.

9/ تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي، (11 / 62)، المؤلف: محمد الهلال، عدد الأجزاء: 30 (مجزأ آليا بأجزاء المصحف الشريف)، تنبيه: الكتاب مطبوع في 12 مجلدا، عن دار المعراج، ودار جوامع الكلم، تاريخ النشر بالشاملة: 29 ذو القعدة 1443هـ.

10/ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 – 310 هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2001م.

11/ تفسير القرطبي (6/ 211) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964م.

12/ تفسير ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.

13/ تفسير الكريم الرحمن عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000م.

14/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، 1405، عدد الأجزاء: 10.

15/ زاد المسير في علم التفسير (1/ 177) المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الأولى – 1422هـ.

16/ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء: 4.

17/ سنن البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى . 1344 هـ، عدد الأجزاء: 10.

18/ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: 5، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي صحيح مسلم.

19/ عقيدة التوحيد في القرآن حمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الناشر: مكتبة دار الزمان، الطبعة الأولى: 1405هـ - 1885م.

20/ فتح القدير للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ، الطبعة: الأولى – 1414هـ.

21/ مسند الامام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2001م، مسند الامام أحمد.

22/ معجم اللغة العربية المعاصر، د. أحمد مختار عمر، ط1، القاهرة عالم الكتب، 2008م، 2/ 1526.

23/ مجمل أصول أهل السنة، ناصر بن عبدالكريم العلي العقل، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، 1/ 4.